

ترشيد العاطفة الدينيّة في التربية الأسريّة وأثرها في مواجهة مخاطر الغلوّ والتطرّف



ملخص

د. محمد بودبان
جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية،
قسنطينة

تحاول هذه المقالة البحث في مشكلة الغلوّ والتطرّف، لا في مظاهرها ونتائجها، وإنما بالبحث في جذورها الأولى، من خلال العودة إلى المدرسة الأولى التي تنشأ فيها معارف المرء، وميولاته ورغباته، وعواطفه؛ وهي الأسرة. ثمّ هي محاولة لمطارحة بعض الآليات في التنشئة الأسريّة، والتي من شأنها أن تضمن نموّاً روحياً دينياً متوازناً للأطفال؛ ولتجعل أفرادها الشباب بالأساس -مستقبلاً- ذوي مناعة من التوظيف الخاطئ للعاطفة الدينيّة، واستغلالها في إطفاء نور العقل والروح الإنسانيّة؛ والانسحاق في مزالق مشؤومة العاقبة، من خلال التطرّف.

Abstract

This article aims to examine the problem of extremism by seeking its roots and sources. We out referring to the family, which is the core of the formation of communities, and the first school in which people receive their knowledge and emotions. This article is an attempt to present some mechanisms that we could use in family education, and that would ensure the balanced growth of children spiritually and religiously, they thus ensure their safety against the dangers of extremism.

Résumé

Cet article vise à examiner le problème de l'extrémisme, en recherchant dans ses racines et sources, et cela en se référant à la famille, qui est le noyau de la formation des communautés, et la première école dans la quelle les gens reçoivent leurs connaissances et leurs émotions. Cet article est aussi une tentative de présenter certains mécanismes que nous pourrions employer dans l'éducation familiale, qui assureraient la croissance équilibrée des enfants spirituellement, et religieusement, elles leur assurent ainsi la sécurité contre les dangers de l'extrémisme.

مقدمة

إنَّ إحدى المشكلات التي تَحياها مجتمعاتنا المعاصرة، لهي ضعف الأدوار الأبويَّة في إدارة العلاقات الأسريَّة، وإحاطة شملها بالتربيَّة الرُّوحية الإسلاميَّة المرشَّدة للعاطفة الدِّينيَّة؛ وإنَّ تراجع تلك الأدوار أدَّى إلى اضطراب تلك العاطفة، بين تيارين: تيارٍ ضعفها وتراجعها من جهة؛ أو غلُوَّ فيها وتطرُّفٍ من جهةٍ أخرى.

ولمعالجة هذه القضية سيكون انطلاقنا من تحديد المفاهيم الأساس، بالغوص في جذورها اللُّغويَّة، واستخلاص دقائق مقاييسها من خلال الإمام بالأصول التي تعود إليها المشتقَّات من المعاني؛ والتي تساعدنا على إدراك لطيف الإشارات التي قامت عليها بعد ذلك الحقائق الاصطلاحية. ثمَّ ننفُضُ إلى معالجة إشكاليَّة العاطفة بين من يبخسها حقَّها، وبين من يجعلها مطيئةً لتحقيق الدنيا من الأغراض. بعدها وفي عنصرٍ موالٍ يأتي الدور على بيان الرِسايلِيَّة في التربيَّة الأسريَّة من أجل تنشئة متكاملة للجسد والعقل والروح؛ وتحقيق سلامتهمَّ جميعًا؛ وتحقيق الأمن الفكري لأفراد الأسرة جميعًا، والأبناء بعد ذلك تخصيصًا. وفي الأخير سأنتهي إلى الثمرات التي نخبها من ترشيد العاطفة الدِّينية في الوقاية من التطرُّف، وكيف يمكننا تجريد المستعبدين لعقول أبنائنا -أو المحاولين ذلك- من أن يكون لهم سلطان عليهم إن جسدًا؛ وإن عقلاً وفكرًا؛ وإن عاطفةً وشعورًا وروحًا.

1. ضبط الجهاز المفاهيمي

إنَّ إدراك ماهيَّات الأشياء؛ وإسقاط الأحكام المتوافقة مع حقائقها، لا يكون إلاَّ من خلال ضبط المصطلحات، والإحاطة بمعانيها، وتتبع الدلالات قدر الإمكان: نشأةً وتطورًا وأقولاً. والذي نوذُ إدراك دقيق معانيه، وجليله ههنا هو: العاطفة الدِّينية، والأسرة، والغلُوَّ والتطرُّف؛ كمصطلحاتٍ مفتاحيةٍ في هذه المقالة؛ حيث يفيدنا ذلك في إدراك حُجوم الأهمية، والمجالات التي تشملها، لنذكر بعد ذلك قيمة المسؤوليَّات والواجبات؛ وبالمقابل الآثار السلبِيَّات الحاصلة بتضييع الأمانات.

أولاً: مفهوم الأسرة والعائلة

أ. لغةً: الأسرة: بالضمّ الدرع الحصينة؛ ومن الرجل: الرَّهط الأذنون¹؛ وعلى ذلك أسرة² الرجل رهطه، لأنه يتقوى بهم. وأمّا العائلة فمن العول؛ والعول: كلُّ ما عالك، والمستعانُ به، وقوت العيال. وعول عليه مُعولاً: أتكل واعتمد... وعيلهم: صيرهم عيالاً أو أهملهم³.

ومن خلال الأمرين جميعاً - أعني اشتقاق الأسرة والعائلة - يمكننا أن نستنبط معالم الترابط والقوة التي تنبني عليها العلاقات الأسرية، وهي: التقوي، الاستعانة، الاتكال، والاعتماد. وكلُّها معانٍ ترشدنا إلى الحياة الجماعية التي تُحقّق غاياتٍ، هي لا تتحقّق على وجوه الانفراد.

ب. اصطلاحاً

ويكفي في ذلك هذا التعريف المختصر الجامع: «الأسرة هي الخلية الأساسية للمجتمع، وتتكوّن من أشخاصٍ تجمع بينهم صلة الزوجية، وصلة القرابة»⁴. فهذا تعريف يشمل الأسرة بمختلف أحجامها، وتنوع تشعباتها. وإذا كان الزواج أساس وجود الأسرة وتكوّنها؛ فإنّ الزواج الإسلاميّ ليس فقط غايةً جنسيةً بين الزوجين - وإن كان هذا هدفاً مقصوداً كذلك، تلبيةً لدوافع الجسد - وإنما له أهدافٌ كذلك ساميةٌ أهمُّها:

1. تكثير عدد المسلمين، وإدخال السرور على قلب الرسول ﷺ.

1. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ت خليل مأمون شيجا؛ (ط2)، دار المعرفة: بيروت - لبنان، 2007م، ص47.

2. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: المقاييس في اللغة؛ ت شهاب الدين أبو عمرو؛ (دط)، دار الفكر: بيروت - لبنان، (دت)، ص76.

3. القاموس المحيط: مرجع سابق، ص928.

4. المادة الأولى من قانون الأسرة الجزائري: قانون 84-11 مؤرخ في 9 رمضان 1404هـ الموافق 9 يونيو سنة 1984م يتضمّن قانون الأسرة معدل ومتمم بالأمر 05-02 مؤرخ في 18 محرم عام 1426هـ الموافق 27 فبراير سنة 2005م.

2. إعفاف النَّفس.

3. إنشاء الجيل المسلم.

4. استمرار ذرِّيَّة الإنسان¹.

فتكوين الأسرة هو إنشاء روابط اجتماعية متشابكة، وقويَّة، تجمعهم الأغراض والغايات الماديَّة والمعنوية على السواء، والمعنوية هي ذات النصيب الأكبر. ومن أهم ما توفّره الأسرة للطفل: الحب والعطف والتقبُّل والمساندة النَّفسية والاجتماعية، وغير ذلك من الأدوار المهمَّة للصحة النَّفسية². وإنَّ هذه العواطف تحتاج إلى ما يرشدها ويحوطها بأسباب العناية، حتى تكون تنشئة الفرد سليمة، ومن ثمَّ نشوء مجتمع ذي متانة وقوَّة في نسيج علاقاته، وبناء مؤسَّساته.

ثانياً: العاطفة الدينيَّة

فقد نُعتت العاطفة ههنا بألحاناً دينيَّة؛ فما العاطفة وما الدين؟ ويهتُّنا ههنا أن نزيل الأنفاس في بحث النعت والمنعوت؛ ومفردة الـ: "دين" بشكلٍ أساسٍ، لأنَّها عمود عملنا في هذا المقال.

أ. لغةً: فأما العاطفة، فقال ابن فارس: « العين والطاء والفاء أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، يدلُّ على انثناءٍ وعجاجٍ»³. وقال الجوهري: عطفتُ: أي ملتُ؛ وعطفتُ العودَ فانعطف، وعطفتُ الوسادة: ثنيُّها؛ وعطفتُ عليه أي أشفقتُ... والمعطفُ بالكسر: الرداء، وكذلك العِطافُ... وتعطفَ عليه: أشفق؛ وتعاطفوا: عطف بعضهم على بعضٍ...⁴.

1. محمد نور بن عبد الحفيظ سويد: منهج التربية النبويَّة للطفل، ط3، دار طيبة: مكة المكرمة: المملكة العربية السعودية، 2000م، ص40-43.

2. صالح بن إبراهيم بن عبد اللطيف الصنيع: التدبُّن والصحة النَّفسية، (ط1)، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود للعلوم الإسلامية، 2000م، ص496.

3. المقاييس في اللغة؛ مرجع سابق، ص787.

4. إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (ط3)، دار العلم للملايين: بيروت - لبنان، (1405/4).

وأما لفظة "دين" فقد قال أحمد بن فارس¹: «الدَّال والياء والتون أصلٌ واحد؛ إليه ترجع فروعه كلّها، وهو جنسٌ من الانقياد والدّل...» دان² القوم إذا سأسهم وفهرهم فدأنوا له ودأنوه: انقادوا له. والدّين³ -بالكسر- العادة والشأن... والدّينُ الجزاءُ والمكافأة، يقال دانه ديناً أي جازاه؛ والمدّينُ: العبدُ، والمدّينةُ: الأمة، كأثهما أدّهما العمل... والدّينُ الطّاعةُ، ودانَ له: أي أطاعه؛ والدّينُ⁴: العادة [لأنّ النَّفس إذا اعتادت شيئاً مرّت معه، وانقادت له]⁵، والعبادة، والمواظبُ من الأمطار أو اللّين منها، والطّاعة كالدينة -بالهاء فيهما- والدّل.

وبعد هذه السياحة في جنبات المفردة؛ أتضح لنا جلياً أهمية المعنى بما دار عليه من حيثيات؛ واتّضحت لنا الخطورات: إنّه الخضوع والدّل والطاعة -والخضوع للشيء بديمومية واستمرار يجعله عادة- إذن ههنا تكمن الخطورة؛ إذ إنّ الإشكال فيمن يدعو إلى الخضوع والدّل باسم الله؛ ثمّ يتحكّم في صرفهما عنه إلى غيره بالعلو في استثمار عواطف المؤمنين الصادقة، وتحريفها إلى عكس الغايات المرادة منها. فالدين الحقّ إسلام العبد لربّه الحقّ، واستسلام وخضوع له، وثقة وإيمان بإلهيته وربوبيته، وكمال ذاته وصفاته، وعظيم أسمائه تعالى؛ وكلّ ذلك يُدخل العبد في حالة اطمئنانٍ نفسي، وحالاتٍ شعوريّة روحانيّة لا توصف من الجمال والسعادة؛ تجعل المرء يذهل عن عالم المادّة، ويقدم أنفس ما وهبه الله تعالى إيّاه: نفسه التي بين جنبيه؛ ذلك هو ما أخبرنا عنه رسول الله ﷺ من ذوق حلاوة الإيمان. فهنا ندرك بحقّ، عظيم جرم من يصرف الناس عن الحقّ، باستغلال حلاوة الإيمان؛ ومحاولة الشباب خاصّة أن يبيعوا أنفسهم لأعظم محبوب، الله

1. المقاييس في اللّغة: مرجع سابق، ص 372.

2. جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، ت عبد الرّحيم محمود، (دط)، دار المعرفة: بيروت - لبنان، (دت)، ص 459.

3. أبو منصور محمّد بن أحمد بن الأزهر الأزهرى الهروي: تهذيب اللّغة، ت أحمد عبد الرّحمن مخيمر، (ط1)، دار الكتب العلميّة: بيروت - لبنان، 2004م، (342/10).

4. القاموس المحيط: مرجع سابق، ص 461.

5. المقاييس في اللّغة: مرجع سابق، ص 372.

ربّ العالمين.

إذ إنَّه حين تتدخَّل العاطفة فإنَّها تزيد من عمق البعد الروحانيِّ في مشاعر التدين، وفي مستوياتٍ عدَّة؛ أهمُّها المستويان النَّفسي والوجداني، اللذان يتعلَّقان بجزءٍ مهمٍّ من تكوين الإنسان، وهو الرُّوح التي لها متطلَّباتٌ ملحَّةٌ كما للبدن متطلَّباته الملحَّة المرتبطة بالجوانب الماديَّة - عمومًا - لكونه مادةً في خلقه. ثمَّ يتنازع الإنسانُ الجانبان معًا: الروح والبدن، في عيشه وكسبه، وتفكيره وتخطيطه، وخياراته.

ب. اصطلاحًا: فأما العاطفة في هذا المجال المعرَّيِّ المدروس، فهي منصرفةٌ إلى جانب الحالات الشعوريَّة؛ ولها تعلُّقها بما دار عليه المعنى اللُّغوي من الانشاء والعِياج؛ إذ العاطفةُ عمومًا تُنسب في مبعثها إلى القلب، كمصدرٍ للحنوِّ وكذلك للانكسار والشفقة؛ ونحن إذا أردنا حماية شيءٍ ما، ننحني عليه لنقيهُ السوء، وكذلك تفعل الأمهات في عالم الحيوان مثلاً. وإنَّه في المجال الفكري، لا تُبوِّئ العاطفة مكانها الذي يليق بها في مؤلَّفات النَّاس؛ حتَّى لكأنَّه حين تذكرُ العاطفة تصير مرادفًا للضعف، والزلل، والاضطراب... إلخ؛ ويجرِّد التفكير العاطفي من كلِّ مزاياه؛ ويُسحب ذلك في مجالات الحديث عن الدِّين، وبخلفياتٍ نصرانيَّةٍ بالأساس؛ حيث يصير الفكر الدِّيني كُله عاطفةً، وحالاتٍ شعوريَّةٍ تعصف بالنَّفْس الإنسانيَّة، من دون أن يكون للعقل مدخل إليها.

كما نلاحظُ أنَّ العواطف، ومنها عواطف الحبِّ والخوف والرَّغبة والغضب تتخذ أشكالاً جديدةً كلَّما تغيَّرت مواضعها. فالحبُّ البُنوي تخالف مظاهره الحبُّ الزوجي؛ والرَّغبة في العلوم تتخذ مظهرًا غير الرَّغبة في المال، مع أنَّ أساس العاطفة واحدٌ. وهذا ما جعل المفكرين المعاصرين يمتنعون عن الإتيان بتعريفٍ صريحٍ للعاطفة الدِّينيَّة.¹ وإن كانوا يتحدثون عن الأمر في شكلٍ ومجالٍ جدليٍّ آخر هو: "ثنائية العقل والقلب"، أو جدليَّة العقل والنقل أو الوحي، أو الإيمان في معناه الأوسع والشامل.

1. يوسف شلحت: نحو نظريَّة جديدة في علم الاجتماع الدِّيني، تحقيق خليل أحمد خليل، (ط1)، دار الفارابي: بيروت - لبنان، 2003م، ص 141.

وأما الحديث عن العاطفة الدنيوية في منحها الإيجابي، فنجده -بحسب كل ديانة- في الجانب الروحاني من تعاليمه وممارساته؛ في أشكال التصوف المختلفة، أو علم السلوك؛ كما أسمى الشيخ محمد الغزالي كتابه بـ "الجانب العاطفي من الإسلام".

وأما الدين اصطلاحاً: فلا يكاد الناس اليوم يتوقفون في فهمه، والمراد من معناه؛ فهو عند أكثرهم: ما يتضمن عبادات فئة من الناس يلتزمون بها في أداء حق الله عليهم، وما يتبع ذلك من رسوم يقيمونها في حياتهم، ومن عقائد يعتقدونها في ربهم، ومن أصول يؤمنون بها في نشأة الإنسان، وفي حياته، وفي معاده بعد الموت وانقضاء الحياة؛ إلى أشياء كثيرة تتخلل ذلك من آداب ومعارف¹. وعلى ذلك، فمعنى "الدين" هنا معنى مركب من تفاصيل كثيرة جداً، لكل قوم معنى في تفاصيله غير المعنى الذي عند آخرين يخالفونهم.

والعلماء المسلمون -غالباً- حينما يعرضون لتعريف الدين، فإنهم يفعلون ذلك على أساس الدين الحق الذي يعتقدونه؛ ولا يخرجون -عموماً- عن هذين التعريفين المتقاربين:

1. الدين قول² إلهي رادع للنفس، يقومها ويمنعها من الاسترسال فيما طُبعت عليه.
2. الدين هو وضع³ إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه، على الصلاح في الحال، والفلاح في المال.

ثالثاً: الغلو والتطرف

أ. لغة:

فأما الغلو: فالغين واللام والحرف المعتل، أصل صحيح في الأمر يدل على ارتفاع

1. محمود شاكر: أباطيل وأسمار؛ (ط3)، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، 2005، ص426.
2. نزهة الأعين لابن الجوزي ص295؛ نقلاً عن سعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف: كتاب التعريفات الاعتقادية، (ط1)، دار الوطن، الرياض- المملكة العربية السعودية، 2002، ص173.
3. محمد علي التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت علي دحروج، ترجمة فارسية: عبد الله الخالدي، ترجمة أجنبية جورج زيناتي، إشراف ومراجعة: رفيق العجم؛ (ط1)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، 1996م، (814/1).

ومجاوزه قدر¹. وغلا في الدِّين غُلُوًّا... تصَلَّبَ وشَدَّدَ حتَّى جاوز الحدَّ... وغالى في أمره مغالاةً بالغ². وغلا بالسَّهم رمى به أبعد ما يقدر عليه³.

وأما التطرُّف: فالطاء والراء والفاء أصلان: فالأوَّل يدلُّ على حدِّ الشيء وحرفه؛ والثاني يدلُّ على حركةٍ في بعض الأعضاء... ويقال ناقهٌ طرفةً: ترعى أطراف المرعى ولا تختلط بالثوق⁴. والطرَّف: النَّاحية، والطَّائفةُ من الشيء⁵. وتفَرَّقوا في الأطراف: في النواحي. وتطرَّفَه - نحو: تحيَّفه - إذا أخذ من أطرافه. وطرف عن العسكر، إذا قاتل عن أطرافه⁶.

ب. اصطلاحًا:

الغلُوُّ معناه: «مجاوزه الحدَّ المشروع في أمرٍ من الأمور؛ بأن يُزاد فيه أو يُنقص عن الحالة التي شُرِعَ عليها... ويكون الغلُوُّ تارةً بمجاوزه الحدِّ في الإفراط والإشطاط؛ وتارةً بمجاوزه الحدِّ في التَّرك والتفريط»⁷. والغلُوُّ تَعَدُّ؛ وقد عبَّر القرآن أحيانًا عنه بالطُّغيان؛ لما فيه من مجاوزة الحدِّ في الظلم والعصيان⁸.

ويكون الغلُوُّ بعدم الاعتداد بأقوال المخالفين في المسائل الاجتهادية، خلافًا معتدًا به؛ وبالتحدُّث عنهم حديث المستخفِّ. ويكون الغلُوُّ بالتورُّع ممَّا لا ورع فيه؛ ومنه

1. المقاييس في اللغة، مرجع سابق، ص802.

2. أحمد بن محمَّد بن علي الفيومي المقرئ: المصباح المنير، مكتبة لبنان: بيروت - لبنان، 1987م، ص172.

3. محمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرَّايزي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان: بيروت - لبنان، 1986م، ص201.

4. المقاييس في اللغة، مرجع سابق، ص634.

5. مختار الصحاح، مرجع سابق، ص164. والمصباح المنير، مرجع سابق، ص141.

6. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الرِّخشي: أساس البلاغة؛ تحقيق محمَّد باسل عيون السُّود، (ط1)، دار الكتب العلميَّة: بيروت - لبنان، 1998م، (201/1).

7. الصادق عبد الرحمن الغرياني: الغلُوُّ في الدِّين؛ ظواهر من غلو التطرُّف، وغلُو التصوُّف، (ط2)، دار السلام: القاهرة - مصر، 2004م، ص11.

8. المرجع نفسه.

التشدُّد في السُّنن والمندوبات، مع التَّفريط في الواجبات، وعدم المبالاة بارتكاب المحرِّمات. ومن الغلوِّ مجاوزة الحدِّ في المدح، أو الذمِّ، ومجانبة الإنصاف. والغلوُّ يكون بالفعل، ويكون بالترك¹.

وأما لفظ التطرُّف فهو مصطلحٌ محدثٌ، ولم يوجد في منطوق أهل العلم؛ إلا في نصوصٍ معدودةٍ عند شيخ الإسلام ابن تيمية². ولعلَّ شيوعه راجع إلى مقابله الحرفي في اللُّغات الأوروبية Extremism. ويبدو بسهولة وجه الربط بين المعاني اللُّغويَّة التي دار عليها اللُّفظ، وبين الحقيقة الاصطلاحية التي اكتسبها؛ وكأنَّما المتطرِّف يأخذ ناحية الطريق، ويتنكَّب عن وسطه، إلى الطرف.

2. العاطفة الدِّينية بين الانضباط والانفلات

إنَّ الكلام عن العاطفة الدِّينية، هو كلام عن الحالة الشعوريَّة للفرد أو الجماعة المتديِّنة؛ وهي دالَّة على قوَّة الترابط بين الفرد ودينه، والتناغم فيما بينهما محبةً واطمئناناً؛ وإنَّما يكون ذلك في حال صدق الدِّين وصدق العاطفة؛ فإنَّ غير الصِّدق لا يورث اطمئناناً البتَّة.

وإذا كانت العاطفة الدِّينية حالةً شعوريَّة بالأساس، باعثةً على السلوك والعمل؛ أي بمعنى أنَّها حافزةٌ على الطاقة والعطاء، فإنَّ تلك الطاقة وذلك العطاء يكون مُنتجاً، ويكون مدمراً بحسب الصدق الذي ذكرناه أو عدمه. فإذا كان التحكُّم في العاطفة الدِّينية وعناصرها، وتوجيهها، تحكُّماً في آثارها ومنعطفاتها. وقد أرشدنا الدين الإسلامي؛ ثمَّ شهد تاريخ الأديان، أنَّ الحقَّ يراد به الباطل؛ حين تعبت به أيادي الكفِّ والإبطال، وحين تلويه الألسنة، وتلبَّسُهُ بغيره أحقادُ القلوب، ولوثاتُ العقول.

وإنَّ العاطفة الدِّينية مركوزةٌ في الفطرة الإنسانية، وغريزة التدبُّن جُبل عليها النَّاس

1. المرجع نفسه، ص12 باختصار.

2. عبد الرحمن بن معلاً اللويحي: الغلوُّ في الدِّين في حياة المسلمين المعاصرة، دراسة علمية حول مظاهر الغلوِّ، ومفاهيم التطرُّف والأصولية، (ط2)، مؤسَّسة الرسالة: بيروت- لبنان، 1992م، ص88، بتصرُّف.

-وإن حاولوا طمسها، أو إنكارها- والمركز في النفس الإنسانية لا بد وأن يستغلن، وإنما استعلائه قد يكون بحق، وقد يكون بباطل. وذلك بحسب التنشئة والكسب، والإكراهات الواقعية النفسية والاجتماعية ونحوهما.

ثم إن تعطيل أية غريزة من غرائز الإنسان، ومحاولة قتلها، يؤدي إلى إحداث فجوة كبيرة في الحياة. ولذلك يمكن القول بأن النظم الاجتماعية الإسلامية على تنوعها واختلافها، قد شرعت لاستغلال طاقات الإنسان كلها دون استثناء¹.

ولا أقول هنا: للعقل مجاله وللعاطفة مجالها بإطلاق؛ فاعتقادي أنهما لا ينفصلان في كل الأحوال؛ وإنما قد يلتقيان في مساحات مشتركة تجعل أحدهما مكملًا للآخر. وفي المقابل من ذلك؛ فإن تغليب جانب على جانب يؤدي إلى نتائج غير محمودة؛ وتتحقق تلك النتائج الكارثية كلما اختلت الأساليب التربوية في التنشئة الأسرية والاجتماعية على وجه الخصوص.

ويمكننا أن نلاحظ بكل يسر كيف أن الناس طرفان ووسط؛ فالذي سبق بيانه هو الوسط الذي جاءت به الشريعة الإسلامية الغراء. وأما الطرفان، فأحدهما: من جعل الدين من وضع البشر، لتلبية حاجات نفسانية، أو اجتماعية، أو مادية؛ أو هروبًا من واقع ضعف الإنسان الذي يسعى إلى استجلاب المنافع، واستدفاع المضار؛ بالخضوع لقوى الطبيعة، أو الاستعانة بالغيب والغيبات... إلخ. فأنكروا أن يكون الدين - ككل - منحة إلهية لصالح البشر في الحال وفي المال؛ وهذا الفريق من الناس كان موجودًا، ولا يزال؛ والحق أن « الدين ضرورة فطرية شعورية لا علاقة له بملايسات العصر والبيئة؛ وكم كان شقاء الإنسان وحيرته وضلاله حين أخطأ فهم حقيقة هذا الارتباط، وهذا التفسير. أي إن حاجة الإنسان إلى الدين حاجة فطرية مركوزة في طبيعته النفسية، ومغروسة في شعوره؛ وممتزجة في دمه وأعصابه، وحسنه؛ ولكنه قد يضل عن إدراك هذه

1. عبد الله الخريجي: علم الاجتماع الديني، (ط2)، سلسلة دراسات في المجتمع العربي السعودي، الكتاب التاسع: جدة- المملكة العربية السعودية، 1990م، ص463.

الحقيقة فيشقى، ويحار، ويفقد الاستقرار»¹. وللفيلسوف برتراند راسل رأيٌ يؤكّد عمق الشعور الديني، وارتباطه بالفطرة الإنسانيّة، حتّى عند أصحاب المذاهب الماديّة. ويرى أنّ هناك رباطاً خفياً لا يمكن التخلّص منه عند هؤلاء².

ومن الخطأ البين محاربة التدين والعاطفة الدينيّة؛ باسم التصدّي للتطرّف والغلو، ك: "السياسة التي ترى في التدين تربةً خصبةً ينمو فيها، ويتغذى منها التطرّف؛ بصرف النظر عمّا إذا كان التدين رشيداً، أم مشوّهاً وعقيماً"³. ذلك أنّ كبت العاطفة الدينيّة إفسادٌ لكلّ العواطف والمشاعر، وإهدارٌ للطاقات البشريّة، وإضلالٌ للسعي المحمود نحو تحقيق الخلافة في الأرض.

وأما الطرف الآخر: فناسٌ انطلقوا من حقيقة الدين ومكوّناته وعناصره، وسلطانه في الأنفس والأرواح؛ لكنّهم جاوزوا الحدّ إلى الإفراط؛ بحيث أطلقوا العنان لسلطان العاطفة من دون انضباطٍ لها؛ وتركوها حرّةً من دون قيدٍ، فأرسلوها قائدةً وهم مئودين. حيث «تعدّ الطاقة الروحية في الإنسان أسمى وأكبر طاقاته؛ فطاقة الجسم محدودة بما تدركه الحواس، وطاقة العقل أكثر مرتبةً، ولكنّها محدودة أيضاً بالزمان والمكان؛ أمّا طاقة الرّوح فهي أسمى من طاقة الجسم والعقل؛ فهي وحدها تمتلك الاتّصال بخالقها، فالرّوح من أمر ربّها. ويعتني الإسلام بالرّوح من منطلق أنّها صلة الإنسان بالله»⁴.

وكما سبق الكلام: فإنّ الغرائز والعواطف والمشاعر في الإسلام لا تُكَبَّت، ولا تطلق؛ وإتّما توضع لها قيودٌ دون أضرارها، وحدودٌ للإفادة من منافعها. فغريزة النسل مثلاً لم تُؤمر فيها بالتبثّل، أو الاختصاص، أو غيرها من وسائل إنهائها. كما لم يمنعنا خالقنا الخبير اللطيف بنا من إشباع رغباتنا، وقضاء أوطارنا؛ وإتّما نهانا أن نحصلها بكلّ الطرق:

1. علم الاجتماع الديني، مرجع سابق، ص37.

2. محمّد كامل حتّه: القيم الدينيّة والمجتمع، دار المعارف: القاهرة- مصر، 1983م، ص248.

3. فهمي هويدي: المفترقون؛ خطاب التطرّف العلماني في الميزان، (ط2)، دار الشروق: القاهرة- مصر، 1999م، ص6.

4. عبد المجيد منصور، زكريا أحمد الشربيني: الأسرة على مشارف القرن الواحد والعشرين، الأدوار، المرض التّفسي، المسؤوليات، (ط1)، دار الفكر العربي: القاهرة- مصر، 2000م، ص67.

شريفةً ووضيعةً؛ بل نظّمها، وضبطها داخل جدران مؤسّسة الزواج الاجتماعية؛ بطريقة تجعل تحقيق غريزة النسل عامل بناءٍ للمجتمع القويّ المتناسك، واستمراراً لوظيفة الخلافة.

3. التربية الأسرية وأثرها في التنشئة الفكرية السليمة للأبناء

غرضنا من الكلام ههنا أن نبين أن الفكر السليم والعاطفة الدّينية الإسلاميّة الصادقة، لا يمكنهما أن يجدا طريقهما إلى الأغراض منهما من دون أن تكون هنالك منظومة تربويّة داخل الأسرة تحفظ شبكات العلاقة قويّة مستقرّة منتظمة؛ والاتّصال فيها سيّراً بين أفرادها؛ والمشاعر حيّة فيّاضة، تسودها المودّة والمرحمة. تلك القوّة ستسحب آثارها وفعاليتها إلى التفاعل الإيجابي مع باقي الشبكات العلائقيّة للمجتمع.

وإنّ الأساس في التربية الأسريّة أن تكون من خلال التوجيهات الرّبانيّة، وإنّ الأسرة ممثّلة أساساً في مُنشئها -وهما الأبوان- مسؤولة عن متابعة التّكوين النّفسي والاجتماعي لأفرادها، وفي مختلف مراحل الأبناء العمريّة. ولا يكون ذلك إلاّ من طريق منظومة تربويّة واضحة الخطوط، مُحكمة الخيوط؛ تجتنب الوعظ المباشر -إلاّ قليلاً- وتعمد إلى الاستثمار الكامل لوقت الأبناء بما لا يدع لهم مجالاتٍ للفراغ المفضي إلى التّيه، وذلك بتضييق مساحاته غير المحدودة.

وأسلوب الإسلام في تربية الرّوح هو أن يعقد صلةً دائمةً بينها وبين الله تعالى في كلّ الأوقات، والأعمال، والأفكار، والمشاعر¹. وإنّ أوّل ما يسترعي نظر الباحث عن نفسية الطفل هي ثقته العمياء بوالديه؛ فهو يعتقد تمام الاعتقاد أنّهما يستطيعان أن يقوموا بكلّ ما يُطلب منهما من أعمال؛ وأنّهما مطلّعان على خفايا الأمور، كبيرةً وصغيرةً. وهو فوق ذلك يعزو إليهما الحكمة والمحبة والكمال². تلك الثّقة ينبغي استثمارها وتنميتها في تربية الأبناء وغرس القيم الدّينيّة فيهم منذ نعومة الأظافر؛ تلك القيم ستحوظهم بأسباب المناعة ضد الانحرافات في الفكر والاعتقاد، وضدّ الزلل في

1. عبد الحميد منصور، زكريا أحمد الشّريبي، المرجع نفسه.

2. نحو نظريّة جديدة في علم الاجتماع الدّيني، مرجع سابق، ص 143.

مزلق السلوك المشين؛ «فالقِيم الدِّينِيَّة التي تنظِّم حياة الفرد والجماعة، لها صفة الثبات والاستقرار، والدوام؛ لأنها تتصل بالفطرة الإنسانيَّة التي لا تتغيَّر ولا تتبدَّل»¹.

والعملِيَّة التربويَّة الممنهجة في غراس تلك القيم تورث حسن الاتِّصال بين الآباء والأبناء وقوَّته، ذلك أنَّ «الاتِّصال هو عمليَّة تفاعلٍ بين المرسل والمستقبل للرسالة في محيط اجتماعيٍّ معيَّن. فالتأثير هنا متبادلٌ؛ والاتِّصال هو أحد عمليات التفاعل التي يتمُّ من خلالها تبادل الأحوال الدَّاتيَّة كالأفكار والمعتقدات والقيم، والمعلومات والمشاعر، والأبحاث بين فردين، أو بين فردٍ وجماعةٍ؛ أو بين جماعتين بهدف مشاركة الخبرات والتجارب والأفكار مع الآخرين للعمل على إشباع حاجاتهم، وإثبات ذواتهم وتدعيم العلاقات القائمة بينهم، وصولاً للتفاهم، ووجهات النظر المتقاربة»².

ولتحقيق التواصل على مستوى زرع القيم، فلا بدَّ أن يصحبه امتثالٌ من الوالدين لها؛ حيث إنَّ ابتعاد الآباء عن النهج السويِّ في التديُّن يجعلهم في عيون أبنائهم غير مؤتمنين على الدِّين فهماً وتطبيقاً؛ ولذلك فإنَّ أيَّة محاولةٍ من قِبَل الآباء بعد ذلك لتصحيح سقيم فهم الأبناء للدِّين، وانحرافاتهم ناحية التشدُّد ستفشل، وفشلاً ذريعاً.

ومن الناحية السلوكيَّة والعلاقات الاجتماعية الأُسريَّة، فإنَّ القواعد والقيم والمعايير الأُسريَّة، والضغوط والضوابط الاجتماعيَّة، تلزم أفراد الأسرة بضوابط القواعد والقيم والمعايير على مستوى الآباء والأبناء، حيث تحدِّد مستويات، وأنماط السلوك والتعامل؛ بل تعدُّ الأساسَ في الجوانب الانفعاليَّة، والمشاعر والعلاقات الاجتماعيَّة التي تعدُّ الأساس في الوحدة الأُسريَّة الاجتماعيَّة.³ ولكافَّة هذه المستلزمات تأثيرٌ على تشكيل

1. القيم الدِّينِيَّة والمجتمع، مرجع سابق، ص245.

2. سهير إبراهيم محمَّد إبراهيم: العلاقة بين شبكة الاتِّصال داخل الأسرة، وبين اختيار المراهقين لجماعة الرفاق غير السويَّة، جامعة عين شمس، كلية البنات، (الأداب والعلوم والتربية)، قسم علم النَّفس، بحث حصلت به على درجة الماجستير في التربية (علم النَّفس التَّعليمي) نوقش عام 2001م بإشراف أ.د. أمينة محمَّد كاظم، وأ.م.د أسماء عبد المنعم إبراهيم، ص10-11. نقلاً عن أبلباوم Applbaum الذي أورد 28 تعريفاً، هذا أحدها.

3. الأسرة على مشارف القرن الواحد والعشرين، الأدوار، المرض النَّفسي، المسؤوليَّات، مرجع سابق،

العاطفة الدنيئة وتحديد توجُّهاتها، وقيمتها.

وخلاصة القول أنّ الأدوار الواجبات التي تضطلع بها الأسرة - في الأحوال العادية وقبل التعرُّض للعوارض والمشوّشات - هي الاهتمام بتوصيل كلّ ما من شأنه أن ينمي المدارك الإنسانيّة في أطفالهم؛ من خلال حسن التواصل، وحسن عرض النموذج القدوة؛ وجعل كلّ ذلك بطريقة متوازنة في غراس القيم الدنيئة - المتميّزة كما ذكرنا بالديمومة والثبات - وحمائتهم من أضرارها؛ بما يؤهلهم مستقبلاً إلى عدم الوقوع في التفريط أو الإفراط في متطلبات الروح والعاطفة الدنيئة؛ بما يمنحهم من راحة العقل في عدم الانسياق وراء ما يتعارض مع تلك القيم القويمة.

وهنا، وفي ظلّ مشكلات التواصل في التربية الأسرية من جهة، وفي جهةٍ أخرى طبائع الأبناء التي تتغيّر بحسب مراحلهم العمرية، وفي جهةٍ ثالثة بروز التغيّرات الماديّة والاجتماعية في العالم المعاصر، والثورة التكنولوجيّة الرهيبة؛ ههنا تتعاظم الأخطار المحيطة بالأبناء، ويتكاثر المتربّصون بهم؛ بما يفرض على الأبوين توسيع عمليّة تربيتهم ومتابعتهم لأبنائهم دينياً إلى الخارج من جدران الأسرة الماديّة والروحيّة المعنويّة؛ نظير ما ثلّاقه تربيتهم من عوائق أو مشوّشات، تعاكس الفلسفة المستقيمة للتربية والتنشئة، أو تُضعف من سلطانها؛ ولنعالج مجموع هذه المشكلات بمزجها بموضوع التطرّف والغلوّ في العنصر الموالي.

4. تحديات التنشئة العاطفية المتوازنة

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: 78). فالإنسان يولد بلا علم ولا معرفة إلا ما عُزِرَ فيه؛ وجعل الله تعالى له منافذ التعلّم بما يقع تحت سمعه وبصره بشكلٍ أساس، فيعقله قلبه. ويمرّ الإنسان في مختلف أطواره مزداًداً في العلم والمعرفة بشكلٍ تراكميٍّ؛ وإنّ المراحل الأولى من عمره هي المراحل الأساس التي يبني عليها بقيّة المراحل. والثمرات إنّما تُجنى من تلك المقدمات؛ ونعني بصورةٍ خاصّةٍ مرحلة الطفولة والمراهقة

= ص 3-4.

اللتان تعدّان مرحلتين دقيقتين من حياة الأبناء؛ لأنّهما مرحلتا التلقّي والتّمحيص للمُتلقّي.

إنّما مصادر التلقّي غير محصورة في البيئة الأسريّة وأفرادها؛ بل البيئة مفتوحة على عناصر كثيرة؛ فثمة أماكن العبادة والتّعليم والعمل، وهي الأماكن التي يتدرّج فيها الإنسان منذ صغره، ويمرّ في مسيرة حياته في أجوائها؛ ويتأثر بما فيها من عوامل الخير، أو عوامل الشرّ¹.

فأمّا أهمّ مؤسّسة تتوازي جهودها مع جهود الأسرة - وأحياناً تفوقها من حيث قوّة التأثير في التنشئة - لهي المدرسة في مختلف أطوارها؛ والمعلّم المتّصف بالاستعداد العاطفي - يكمل جهود الوالدين - ويفتح أمام التلميذ طريق التماهي؛ وبذلك يحصل الترابط بين العائلة والمدرسة. وتستخدم المدرسة بواسطة عمليّة النقل العاطفي إلى المعلّم التماهي مع الوالدين². وفي الاتجاه المعاكس إذا فُقد المعلّم الكفء المتكامل في جهوده مع جهود أسر التلاميذ، تكون النتيجة عكسيّة، محبطة لجهود التنشئة الأسريّة؛ وبخاصّة إذا عدم التواصل العاطفي بين المعلّمين وتلاميذهم؛ بحيث يسوقهم ذلك إمّا إلى التحطّم النفسي، أو إلى تطرّف عواطفهم في كلّ اتجاه، بما في ذلك التطرّف والغلوّ الدّيني.

كما إنّ مؤسّسة المسجد لها دور بارز في تزويد الأبناء بالمعرفة الدّينيّة، وصقل أرواحهم بالتعبّد، وإظهار الارتباط بالدّين، وتعلّق القلب والجوارح به، وبمختلف الرمزيات التي تشحن عواطفهم. وكلّما كان النشاط المسجدي نابعاً من التدنّي الصحيح؛ المدرك لرساليّة الإسلام العالميّة، كلّما كان عمله مكملًا لجهود الأبوين داخل الأسرة؛ وكلّما ابتعد عن التعاليم السّمحة كلّما وجد الآباء صعوباتٍ شائكةً في تحقيق توازن عواطف أبنائهم الدّينيّة؛ وخاصّة إذا كان الخطاب الدّيني الذي يتلقّاه الأبناء مصدره هو رواد

1. صالح بن إبراهيم بن عبد اللطيف الصنيع: التدنّي والصحة النفسيّة، (ط1)، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود للعلوم الإسلاميّة، 2000م، ص499.

2. علي زيعور: انجراحات السلوك والفكر في الذات العربيّة؛ في الصحة العقليّة والبحث عن النكيّف الخلاق، (ط1)، المركز الثقافي العربي: بيروت - لبنان، 1992م، ص262.

المساجد من غير الأكفاء.

ثمَّ إنَّه في مستوياتٍ أخرى، نجد كذلك تحدياتٍ جسامًا تشترك في رسم خطوط التلقّي المتوازية مع التربيّة الأسريّة؛ ذلك أنّ التلقّي يقوى كلّما قويت وسائل الإرسال، وحجم الرسائل؛ ويقوى التّأثير بأنواع الخطابات -إيجاباً وسلباً- بحسب الاستعدادات والكفاءات والمقدّرات التي يُمرّن الطفل والمراهق بعد ذلك عليها؛ ذلك التكوين والمِران سيّان أن يكون عفويّاً أو متعمّداً، وإنّما نحن مخاطبون أن نُعدّ له عدّةً.

وأعظم خطابات التأثير في زماننا هي الآتية من طريق الوسائط الإلكترونيّة؛ إذ لم تقو المؤثّرات في زمانٍ ما مثل زماننا هذا؛ حيث تعدّدت الوسائط السميّة والبصريّة بشكل رهيبٍ ومخيفٍ في آنٍ معاً؛ وحجم تدفّق المعلومات متعاظم جدّاً، ويومًا بعد يوم. بما له قدرةٌ على صوغ الفِكر بحسب إرادة المتحكّمين في أوعية المعلومات، والبثّ والنشر. لذلك كانت تلك الأوعيّة سبيلاً عظيمة للتلاعب بالعاطفة الدّينيّة في كلا الاتجاهين المتطرّفين؛ من خلال الاستغلال لذلك التطوّر من جهةٍ؛ ومن جهةٍ أخرى استغلال المرحلتين العمريتين الأوليين من حياة الأبناء؛ ثمّ من جهةٍ أخيرةٍ: استغلالّ التحديّات والمشكلات التي تمرّ بها الأسرة المعاصرة، والتي تعمّق من أثر الأزمة. فلنتكلّم إذن عن الموضوع في ثلاث نقاط كالاتي:

أولاً: قوّة المؤثّرات الإلكترونيّة

فالمنافذ الإلكترونيّة صارت مُبرّجاتٍ لسمع الأبناء وأبصارهم وأفئدتهم بشكلٍ يصل الليل بالنهار في التأثير، ويرسم لهم معالمٍ عالمٍ موازٍ لعالم الواقع حيث يعيشون؛ وقد يستعوض كثيرون عنه بعالمهم الافتراضي؛ يقيمون شبكاتٍ اجتماعيّةً بديلةً، وصدقاتٍ من وراء الشاشة، ويشاهدون آلاف المقاطع الصوتية والمرئية، ويقرؤون آراءً -ببناءً وهذا- ويتفاعلون مع كلّ ذلك بوعيٍ ومن دونه.

وإذا كان المراهق يتفرّج في التلفزيون على ما متوسطه عدّة آلافٍ من حوادث القتل حتّى يصل لنهاية المراهقة؛ فإنّه عندما يلعب ألعاب الحاسوب يشارك، أو يقوم بنفسه بعدّة آلافٍ من حوادث القتل الافتراضيّة. إنّه لا يعود مجرد ملاحظٍ للعنف، بل يتحوّل

إلى منفذٍ له. من جهةٍ أخرى فإنَّ أيَّ سلوكٍ يقوم المرء بتكراره مرَّاتٍ عديدة إلى هذه الدرجة، لا يمكن أن يمرَّ بشخصيته من دون تأثير¹.

ذلك التأثير يختلف من عيّناتٍ إلى أخرى، فقد يكون الأثر إجراماً من دون فلسفته دينياً؛ وهذا يكون عادةً في بيئات التربية الأسرية حيث لم يكن للدين دورٌ فيها عمومًا. ولربما في أحيانٍ أخرى - حيث يكون الوالدان غير مقصّرين في التربية الدنيوية - يكون الأثر محاولةً للتّنفيس عن احتقانٍ داخلي للبرجة العنيفة التي تعرض لها الابن زمانًا.

ويزيد الطّين بِلَّة العزلة التي تفرضها الوسائل الإلكترونية بأسوارها. ولقد أصبحت عملية تنشئة الطفل في ظلّ ثقافة التكنولوجيا ذات مجالٍ واسعٍ جدًّا؛ فلم تعد تنحصر في المصادر التقليديّة المعروفة². ودخول تلك الوسائط والتكنولوجيات الحديثة قلبت عملية التّنشئة للطفل رأسًا على عقب. حيث فتحت آفاقًا معرفيّة واسعة... وجعلت منه في حالاتٍ كثيرةٍ ليس المتلقّي الصغير للمعرفة فحسب، بل المتلقّي، والمنتج، وحتّى المبدع³.

ومن هنا فإنّ ثقافة العنف التي تفد على أبنائنا في سني حياتهم الحرجة، المتأثية من المنافذ الإلكترونيّة من شأنها التّأثير في منظومتهم الدّينية التي نحرص على زرعها فيهم؛ فقد تطفئ حرارة عاطفتهم الدّينية؛ كما يمكنها أن تجعل من عاطفتهم الدّينية متنفّسًا لمكبوتات العنف لديهم، بطرقٍ غير سويّة.

ثانيًا: السنُّ الحرجة للأبناء

الأبناء صفحاتٌ بيضاء حين الولادة، ثمّ سجلاتٌ من الحسنات أو السيئات في

1. مطاع بركات: الواقع الافتراضي، فرصه ومخاطره، وتطوّره -دراسة نظريّة-، مجلة جامعة دمشق، المجلد 22، العدد الثاني، 2006م، ص420.

2. وجدي محمّد بركات، توفيق عبد المنعم توفيق: الأطفال والعوالم الافتراضية، آمال وأخطار، بحث مقدّم في مؤتمر: "الطفولة في عالم متغيّر"، البحرين في 18-19 ماي 2009م. ويمكن الاطلاع على المشاركة على الرابط التالي:

https://uqu.edu.sa/files2/tiny_mce/plugins/filemanager/files/4300340/stu1.pdf

3. المرجع نفسه.

ميزان الآباء؛ إذا كبروا فهم النتيجة؛ يقول أحد الباحثين: «إنَّ مرحلة الشباب تتميز باحتداد السمات المميّزة للشباب، وبرزها بصورة جليّة. وتظهر هنا بوضوح جميع الأخطاء التي ارتكبتها، والهفوات التي وقعنا بها، والمسائل التي عجزنا عن حلّها في تربيّة الطّفل»¹.

ونحن حين نتكلّم بهذا لا نجزم بتقصير الآباء إذا كانت الثمرات سيّئة؛ فلدينا نموذج ابن نوح عليه السلام، فليس ثمّة أعظم من التربيّة النبويّة، ولكنّ العبد مخاطبٌ بتقديم الأسباب والاستعانة بالله تعالى، وأمّا التوفيق فمنه وحده سبحانه. «فإنَّ الإخفاقات في تربية الأطفال تحدث في الأسر الناجحة والمتماسكة؛ فمع ازدياد مخالطة الطفل للنّاس الآخرين، تأخذ بالتشكّل وجهة نظره الأخلاقيّة الخاصّة، وأفكاره، وتطلّعاته التي تتكرّس تدريجيّاً لتأخذ في التحكّم بتصرفاته وسلوكه»². فهناك إذن المؤثّرات الخارجيّة التي لها سلطانٌ يوازي سلطان الأبوين بشكل قوي.

وأصعب مراحل التربيّة هي الطفولة والمراهقة؛ وأمّا فترة الطفولة يسهل فيها التّأثير في الأبناء بشكلٍ قويٍّ؛ ولا وجودَ لمقاومةٍ منهم لما يُعلّمونه إلا نادراً؛ والعاطفة التي يحاطون بها من آبائهم تسهّل الوظيفة التربويّة؛ وأمّا المشكلة هي في فترة المراهقة، التي تحدث هزّاتٍ قد تكون عاقبتهنّ رشداً، وربّما تكون مدمّرةً؛ ولربّما يمكننا أن نقول إنّها فترة الصراع بين العواطف وبين التفكير العقلي، لتكوين قناعاتٍ وتوجّهاتٍ، وخطّ نهجٍ في الحياة في التعامل مع مختلف مظاهرها وعقباتها، والتي يشرعون في إدراكها.

فالمراهقة: فترة التحوّل الفيزيقي نحو النضج؛ فهي مرحلة نموّ هرمونيٍّ، وعضليٍّ، وجسميٍّ، وحركيٍّ، وعقليٍّ، ومعرفيٍّ؛ ونموّ مهاراتٍ لفظيّةٍ وغير لفظيّةٍ؛ ونموّ انفعاليٍّ واجتماعيٍّ. وهذه القوّة تدفع المراهق إلى تكوين هويّةٍ مستقلّةٍ عن الوالدين، وإنشاء علاقاتٍ أقوى مع الأصدقاء. وتختلف الاتجاهات نحو المراهقة باختلاف الثقافات؛ كما

1. ي. إ. كولتشييتسكايا: تربية مشاعر الأطفال في الأسرة، ترجمة عبد المطّلب أبو سيف، ماجد علاء الدّين، (ط1)، دار علاء الدّين: دمشق - سوريا، 1997م، ص122.

2. المرجع نفسه، ص127.

أنَّ الأثر الاجتماعي والسيكولوجي للمراهقة يختلف أيضًا طبقًا لاختلاف الأنماط الثقافية والاجتماعية¹.

وعلماء النفس والتربية يقولون إنَّ الصبيَّ يبدأ في تكوين علاقات اجتماعية أوسع من علاقاته السابقة التي كانت قاصرةً على إخوته أو أقاربه؛ ويظهر من الصبيِّ الرغبة في تكوين الصداقات، وما يتبع ذلك من التأثر بهم والحرص على مودتهم؛ وتبادل المقتنيات الشخصية معهم أو الزيارات. ومثل هذا الاتجاه لا ينبغي منعه بل ينبغي دعمه وتأييده، حتَّى يتعوَّد الصبيُّ التعامل مع النَّاس؛ وهو عمَّا قريبٍ سيصير رجلاً؛ فلا بدَّ أن تكون له الخبرة الكافية في ذلك². وهذا النهج التوسيعي لشبكات العلاقات تكون له هزّاته الارتدادية على العلاقات الأساس الأولى التي كانت داخل الأسرة، فلا بدَّ من الحكمة في التعامل حينئذٍ. وأخطر ما يمكن أن يكون من آثار هادمةٍ أن تنقطع سلسلة التواصل داخل الأسرة؛ وتعدم العاطفة³.

ثالثاً: مشكلات الأسرة المعاصرة

إنَّ التحدّيات التي تواجه الأسرة المعاصرة في البلاد الإسلامية، والتي تؤثر في ضعف الاتّصال بين أفرادها، ومن ثمّ وقوع الأبناء فرائس بيد منظومات التطرّف، هي تلك التحدّيات التي تنزع بأفراد الأسرة نحو الفردانية، ونبتد الاجتماعيّة التي هي من مقاصد

1. محمّد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية-مصر، 1996م، ص18-19. سهير إبراهيم محمّد إبراهيم، مرجع سابق، ص6.

2. محمد بن شاكِر الشريف: نحو تربية إسلامية راشدة: من الطفولة حتى البلوغ، ط1، الرياض: المملكة العربية السعودية، 2006م، ص 84-85.

3. انظر مثلاً هذه المشكلة التي أرسلتها مراهقة لمرشدة نفسية حيث قالت: « عمري 15 عامًا، مشكلتي تتلخص في أنني أشعر أنّ أهلي الذين أحبهم حبًا كبيرًا، وأعمل كلّ شيءٍ من أجل إرضائهم، أشعر أنّهم لا يحبّونني، ولا يشعرون أنّي أعيش معهم، أو أنّ لي وجودًا في المنزل، وهم لا يأخذون رأيي في أيّ شيءٍ. إنني أجلس وسطهم في صمتٍ، لدرجة أنّني أتصوّر أنّني لو اختفيت وسطهم يومًا، أو أكثر فهم لن يشعروا لغيابي. أنا في حيرةٍ من أمري فقد أصبحت حبيسة الوحدة والحزن، ولا أدري ماذا أفعل». موزة المالكي: الأزمت النفسية - العاطفية، مشاكل وحلول، دار النهضة العربية: بيروت - لبنان، 1995م، ص124.

إنشاء الأسرة، ويمكن إجمال أهمها في الآتي:

1. المادية: فالمادية والرؤحانية يتنازعان المحال في النفوس والاجتماع؛ بقدر ما يزداد نصيب أحدهما بقدر ما يتراجع نصيب الآخر. والمادية تحمل عضو الأسرة على أن يكون تفكيره في تحقيق مصالحه، وإشباع حاجاته من دون التفاتٍ إلى بقية أسرته، ولذلك ينفرد بنفسه، ويحاول رسم خطوط مستقبله بعيداً من أن يشاركه أحد من أسرته في وضعها.

2. عمل الأمهات: وهو سببٌ وجيه، خاصةً في مرحلتى الطفولة والمراهقة؛ فالأم أساساً منبع العواطف، ومغذية الأبناء بها. وغياها له أثره الوخيم على توازن عواطف الأبناء ومشاعرهم.

3. تصدع البيت: بسبب غياب أحد الوالدين بالوفاة أو الطلاق، أو الهجر. ويؤدي ذلك إلى مواجهة الأبناء لمشكلاتٍ انفعالية وسلوكية وتوافقية. كما تجعلهم أقل إنجازاً، وأكثر إحباطاً؛ وقد تتسم سلوكياتهم بأنها غير مرغوبة¹. وكذلك الخلافات بين الأب والأم: تثير لدى الأبناء اتجاهات واستجاباتٍ للقلق والعصبية، وعدم الأمان والعدوان. وقد تؤدي إلى سوء العلاقات بين أفراد الأسرة، والاتجاه نحو السلوكيات غير المرغوبة اجتماعياً². وفي الطلاق قد وجد أنه يستمر التأثير السيء له على النمو النفسي مع أطفال الطلاق في مرحلة المراهقة... وارتفاع الاستعداد للقلق عند الأطفال والمراهقين في أسر الطلاق - كما تدعمه الدراسات - يعني أنهم لا يثقون في أنفسهم، ولا في والديهم، ولا في الناس من حولهم، ويغلب عليهم التشاؤم والشك؛ وتوقع الفشل في الاختبارات والمنافسات فتتخفف طموحاتهم، وتضعف نتائجهم المدرسية، وينمو شعورهم بالذنب، وعدم الكفاءة؛ ويبالغون في اللجوء إلى السلوكيات الدفاعية (الحيل النفسية). والتي منها العدوان والتمرد، والتخريب، والسلبية، وأحلام اليقظة؛ فيسوء توافقهم النفسي

1. العلاقة بين شبكة الاتصال داخل الأسرة، وبين اختيار المراهقين لجماعة الرفاق غير السوية، مرجع سابق، ص32. نقلاً عن شيانبري Shianbry.
2. المرجع نفسه.

والاجتماعي، وتزداد انحرافاتهم النفسية والسلوكية¹.

4. **تعدُّ مظاهر الحياة المعاصرة:** حيث نجد الأبوين يخرجان يوميًا إلى العمل، والأبناء إلى مدارسهم، ومن كان منهم يعمل في عمله. وبسبب تنامي المسافات فإن أفراد الأسرة لا يلتقون على وجبة الغداء غالباً؛ وإذا رجعوا في المساء، فكلٌّ منهم يكون منهمكاً في شأنه؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى سيندمج مع وسائل الاتصال الحديثة بشكلٍ فرديّ.

5. **تطور وسائل الاتصالات ذات الاستعمال الشخصي الفردي:** حيث فيما يتعلق بالاتصال فقد كانت وسائله في مجتمعاتنا قديماً مباشرة؛ بالالتقاء والمواجهة المباشرة؛ وربما تكون الهزّة الأولى التي فرقت اجتماع الأسرة هو التلفاز ثم تعدُّ الفضايات، ثم جاءت ثورة المعلوماتية التي جعلت العوامل تتعدّد بشكل رهيب؛ وصار لكل فرد من أفراد الأسرة عوالم -لا عالماً واحداً- خاصة به.

وأصبحت وسائل التكنولوجيا مدعاةً للهروب من التعامل المباشر، وإقامة العلاقات الاجتماعية، بادعاء الانشغال بها، وإنّ ضعف هذه العلاقات وندرة القيام بالزيارات الاجتماعية، يضعف التحوار، وتبادل الخبرات والمشاعر، وتُسبب الرسائل القصيرة بها، تقول: "كل عام وأنتم بخير - رمضان كريم - عظم الله أجركم - وغيرها"².

6. **تعدد مصادر التلقّي للتربية الاجتماعية من ثقافات شتى:** وهذا ناشئٌ عمّا سبق بيأته من ثورة الإعلام والاتصال، ووسائله الحديثة؛ بحيث قويّ التلقّي الذي انتقل من كونه في السابق محدود الروافد إلى كونه متعدد المشارب؛ تلك المشارب تصل في أكثر الأحيان إلى حدّ التعارض والتناقض.

والآن ما آليات تحقيق ذلك؟ أقصد فيما يتعلّق بتثقيف العاطفة الدينية؛ هذا ما سنراه في العنصر الموالي.

1. كمال إبراهيم مرسى: العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس (ط2)، دار القلم: الكويت، 1995م، ص331-332.

2. عباس سبتي: التكنولوجيا وضعف العلاقات الاجتماعية في الأسرة: موقع الألوكة، على الرابط التالي: <http://www.alukah.net/Social/0/38731/>

5. كَيْفِيَّةُ تَرْشِيدِ الْعَاطِفَةِ الدِّينِيَّةِ فِي الْأُسْرَةِ تَرْبِيًّا

أولاً: ضرورة أن تُزرع الرُّوحانيات في الأبناء -على اعتبار أنهم آباء الغد- وفق تربية رُوحِيَّةٍ مُمنهجةٍ ومدروسة؛ إذ إنَّ تربية الروح قبل تربية الجسم؛ ومعنى ذلك أنَّ الوالد المكلف بإعداد الجسم، مكلفٌ أيضاً بتربية الروح قبل ذلك¹.

ثانياً: إحياء المعالم الرُّوحِيَّةِ التي قام عليها ميثاق الزواج بين الأب والأم؛ والذي من شأنه أن يذكّر كلَّ أعضاء الأسرة بأساس وجودهم وغايته. وإنَّه وإن كان في إمكان المرء أن يكون له عالمه الخاصُّ به، إلاَّ أنَّ ذلك لا يعني أن ينسى الواحد منَّا أنَّ له شبكةً من القرى لهم حقوقٌ عليه، فعلى الجميع إدراك ذلك.

ثالثاً: تجنُّب مواجهة العنف بالعنف؛ حيث من الأخطاء التي قد يرتكبها الوالدان، أو أحدهما التوجُّه للطفل الذي يظهر عدوانِيَّتَهُ بالكلام، أو بالحركات، بعباراتٍ قاسِيَّةٍ من نحو: أنت خبيثٌ، أنت شيطانٌ، أو شرِّيرٌ، أو ما إلى ذلك... فهذا ممَّا يزيد مخاوفه وقلقه مستقبلاً؛ ويغرس فيه ما نودُّ أن نمنعه عنه².

رابعاً: الاهتمام بالوسط التعليمي والمدرسي للأبناء؛ إذ حينما تكون علاقة المعلم بالتلميذ سلبِيَّةً، وعندما يسيطر النُّفور، فيصبح الاتِّصال بينهما مستحيلاً؛ يشعر المعلم بعدوانِيَّةٍ أجهَّ التلميذ السَّمج؛ ويقاوم التلميذ معلِّمه السَّمج. وبذلك لا يستطيع التلميذ استثمار صورة المعلم عاطفياً؛ وتتوقَّف عمليَّة التَّماهي؛ وينقطع الاتِّصال الإيجابيُّ الضروريُّ في عملية التربيَّة³. وينبغي مواجهة مظاهر الضغط المدرسي -وهو مصطلح حديث النَّشأة في علم النَّفس عمومًا، وعلم النَّفس التربوي خصوصًا- وهو التوتُّر

1. محمود محمد عمارة: تربية النشء في ظلال الإسلام، مراجعة وتصحيح الطيب بن عمر الحسن، ط2، رابطة العالم الإسلامي: مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، 2000م، ص19-20.

2. علي زيعور: انجراحات السلوك والفكر في الذات العربيَّة؛ في الصِّحة العقليَّة والبحث عن التكيِّف الخلاق، (ط1)، المركز الثقافي العربي: بيروت - لبنان، 1992م، ص 252.

3. علي زيعور: انجراحات السلوك والفكر في الذات العربيَّة؛ في الصِّحة العقليَّة والبحث عن التكيِّف الخلاق، مرجع سابق، ص 262.

والضيق الذي يتعرّض له التلميذ داخل المدرسة؛ حيث أصبح التلاميذ يعيشون عدّة صراعاتٍ داخل المؤسسات التربويّة¹.

خامساً: إحاطة الوالدين بحديثات صداقات أبنائهم؛ فلا بدّ أن يضع الوالدان في حسابهما عند ترك أطفالهم يرافقون ويصادقون ما يشاؤون في نادٍ أو حديقة، ومسجد، ألاّ يكونوا بمنأى عنهم؛ وأن يشتركوا في اختيار الأصدقاء الذين لهم أخلاقيات جيّدة².

سادساً: تحديد الوالدين لسياسات تسيير الأسرة؛ بحيث تكون في شكل متكاملٍ مع مختلف التحدّيات؛ إذ تستطيع الأسرة أن تفهم مستويات أطفالها التعلّميّة والنفسية والاجتماعية؛ وتحاول أن تعالج أيّة مشكلاتٍ تراها. سواءً ضعفٌ دراسي، أو مشكلة سلوكية - انحراف مثلاً - أو مشكلة نفسية - انطواء أو صراعٍ نفسي - وتستطيع الأسرة عن طريق الحب والرّفق، وإعطاء الطفل الثقة بالنفس أن تنمّي شخصيّة الطفل، وتقضي على العقد النفسية عن طريق الدخول إلى نفسيته لمعرفة كوامنها الداخليّة³.

سابعاً: ضرورة نبذ الأسرة للعنف في سلوكاتها، لئلا يتأسى بها أفرادها؛ ويعدّد العنف الأسري الموجّه نحو الأبناء مصطلحاً حديثاً، يستخدم للإشارة إلى الأفعال المباشرة، وغير المباشرة التي يوجّهها الوالدان، أو أولياء الأمر نحو أحد الأبناء بهدف إيقاع الأذى النفسي أو اللفظي أو الجسدي أو الجنسي⁴. والعنف الأسري الموجه نحو الأبناء يكوّن

1. عبدي سميرة: الضغط المدرسي وعلاقته بسلوكات العنف والتحصّل المدرسي لدى المراهق المتمدرس (15-17 سنة)، دراسة ميدانية على عيّنة من تلاميذ السنة الأولى الثانوي، بولاية بجاية نموذجاً. مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم النفس المدرسي، بإشراف الدكتورة: بوكرة أغلال فاطمة الزهراء. جامعة مولود معمري، قسم علم النفس والأرطوفونيا: تيزي وزو - الجزائر السنة الجامعية: 2010-2011م. ص50.

2. سلمان خلف الله: الحوار وبناء شخصيّة الطفل، (ط1)، مكتبة العبيكان: الرياض - المملكة العربية السعودية، 1998م، ص162.

3. سلمان خلف الله، المرجع نفسه، ص143.

4. محمّد عزّت عربي كاتي: العنف الأسري الموجّه نحو الأبناء، وعلاقته بالوحدة النفسية - دراسة ميدانية على عيّنة من طلبة الصف الأول الثانوي بمحافظة ريف دمشق - مجلّة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد الأول، 2012م؛ ص 70. نقلاً عن الفراية: 2006، ص12.

لديهم ردود أفعال سلبية تنعكس على البيئة والأفراد المحيطين بهم من مثل: ممارسة العنف على الآخرين، والسرقعة، وممارسة الجريمة، والخروج على القوانين، وتعاطي المخدرات والكحول¹. ولا يغيب عن أذهاننا في تفسير ظاهرة العنف اجتماعياً المدرسة الإيطالية التي حصرت أسبابه في عاملين أساسيين: عامل ذاتي يتعلّق بشخصية الفرد العنيف. والعامل الثاني عامل يتعلّق بالبيئة المهيأة للسلوك العنيف².

ثامناً: ينبغي إيجاد أرضية متوازنة بين متطلبات الجسد، ومتطلبات الروح، من دون شطط؛ فالإسلام لا يعرف الإنسان إلاّ وحدة متكاملة من: بدن وروح؛ ولا يعرف توجيهاً صحيحاً له إلاّ بالتوازن بين الروح والبدن، وإلاّ بصفاء الروح وعدم طغيان البدن³.

ويجمع ذلك كلّ ضرورة الاهتمام بالصحة الروحية للأسرة ككلّ Spiritual Wellness والتي تعني ببساطة شعور الأسرة وأعضائها الأبناء بانتمائهم وممارستهم لمعتقد محدد. وبالطبع يجب أن يكون هذا الانتماء حقيقياً نابعاً من ذاتية وقناعات الإنسان حتى يؤدي إلى الشعور بالسعادة المطلوبة. كما يجب أن تكون ممارسة المعتقد أيضاً صادقة تعبّر عن الحاجة النفسية والسلوكية للفرد ومتناغمة تماماً مع مشاعره الفعلية نحو المعتقد؛ وانتمائه الإدراكي والوجداني له. وبدون ذلك لا تحصل الأسرة على صحتها الروحية في الحياة: لنفسها، أو في التنشئة اليومية لأبنائها.

وإن التناقض بين ما تعتقده الأسرة وأبناؤها ذاتياً فعلياً؛ وبين ما تمارسه ميدانياً في تفاعلاتها الاجتماعية والرسمية مع الآخرين في الخارج، تؤدي بالمقابل إلى تعاسيتها

1. محمّد عزّت عربي كاتي، المرجع نفسه، ص 70. نقلاً عن أبو حلاوة: 2007، ص 25.

2. صباح عجرود: التوجيه المدرسي، وعلاقته بالعنف في الوسط المدرسي، حسب اتجاهات تلاميذ المرحلة الثانوية؛ دراسة ميدانية بمؤسسات التعليم الثانوي والتقني بولاية أم البواقي. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس، تخصص علوم التربية، فرع علم النفس الاجتماعي والاتصال. إشراف الأستاذ الدكتور علي قوادرية: جامعة منتوري/ قسنطينة- الجزائر، ص 9.

3. محمّد البيهي: الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر: مشكلات الأسرة والتكافل، ط3، دار التوفيق النموذجية: القاهرة- مصر، 1982م، ص 57.

الشخصية والنفسية بسبب الازدواجية أو الانفصام بين المبادئ والقيم الروحية التي تعتقدها والأخرى التي تمارسها في الواقع... الأمر الذي يلاحظ للأسف بوضوح على العديد من الأسر والأبناء في الحياة اليومية المعاصرة¹. والافتقار إلى الذاتية وإثبات الذات بين الأبناء، مرجعه التناقض في سلوك الكبار؛ والتناقض في نظام القيم والمعايير المعلنة داخل الأسرة، أو المدرسة، أو المؤسسة التربوية والإجبار على احترامها².

ونختم الكلام بالقول: إنَّ مشكلة العالم المعاصر هي في عدم قدرته على التقسيم العادل لأسباب السعادة الإنسانيّة فيما بين جزئي الإنسان: المادة، والروح؛ وهنا يظهر الاستغلال السيء لعواطف الشباب الدنيّة؛ حيث يكون التأثير عليهم على أساس كون السعادة الحقيقيّة هي في الدار الآخرة - وهذا حقٌّ - وأنَّ سعادة العبد بتحقيق أمر معبوده، وإعلاء راية دينه - وهو حقٌّ كذلك - وأنَّه بين ضنك الحياة، وبين الوصول إلى دار السعادة، هو الجود بهذه الروح في سبيل مالکها - وهو حقٌّ ملتبسٌ بباطل التفصيلات والحيثيات - وإنما هناك سعادة تُحصَل في الحياة الدنيا، ثمَّ في الآخرة يسعد الصالحون السعادة الحقيقيّة التامة العظيمة؛ فلم نؤمر بنسيان حظوظنا في الحياة الدنيا. والعاطفة إنما تضبطها أحكام الشريعة: «فأيُّ عاطفةٍ لا يصحبها تفصيلٌ صحيحٌ لأصول الإسلام وفروعه، وعملٌ تامٌّ بما فليس لها عند الله وزنٌ. وصدقُ العاطفة ليس عذراً للخلط العلمي، ولا للقول في دين الله بالهوى والرأي. فإنَّ للإسلام ينابيع معروفة محصورةٌ تؤخذ أحكامه منها وحدّها، ولا يؤذن لبشرٍ بالتزئد عليها، أو الانتقاص منها»³.

ولا بدّ على الآباء أن يعلموا أبناءهم ما السعادة في الدنيا وفي الآخرة؛ فإنَّ السعادة

1. محمد زياد حمدان: الصحة الروحية للأسرة والأبناء، 2006م، من موقعه: دار التربية الحديثة: على الرابط التالي:

<http://www.hamdaneducation.com/arabic/articles2/10.htm>

2. الأسرة على مشارف القرن الواحد والعشرين، الأدوار، المرض النفسي، المسؤوليات، مرجع سابق، ص223.

3. محمّد الغزالي: الجانب العاطفي من الإسلام، (ط1)، دار الدعوة: الإسكندرية- مصر، 1990م، ص14.

شعورٌ نفسيٌّ داخليٌّ يجده الإنسان بين جوانبه، يتمثل في سكينه النفس، وطُمأنينة القلب، وانسراح الصدر، وراحة الضمير والبال عند توفيقه بين مصالحه الدنيوية والأخروية¹. وللسعادة أهمية عظيمة في حياة الفرد والمجتمع، فهي سر الحياة ونور بهجتها في الدارين، ونعم الله على عباده تعدُّ مصدر إسعاد الله لعباده، وهي كثيرة لا تعدُّ ولا تحصى، وقد جعل الله جميع الناس مشتركين في بعض مصادر الإسعاد، من النعم التي تؤدي إلى بقاء النوع الإنساني الصالح منهم والطالح؛ لكنه وعد الذين سخّروا أنفسهم للعمل بمقتضى منهج الله بالسعادة العظمى والأبدية في الآخرة².

في الأخير نقول: الإحساس الدّيني هو أقوى الأحاسيس، وسيظلُّ أفواها، وأعمقها لأنّه يستمدُّ بقاءه وقوّته من الفطرة الإنسانيّة التي لا تموت. وشعور التديّن حتّى في أبسط صورهِ يُكسب الأخلاق بقاءً وقوّه؛ ويربطها دائماً بالذات الأزليّة الخالدة³. وبقدر عظم هذه المشاعر والعواطف وتبليّها، سيكون عظم إثم من يستغلّها للضدّ من مقاصدها.

خاتمة

في آخر هذه المقالة يحسن بنا أن نقف على أهمّ النقاط التي اشتملت عليها، فنقول:

- الدّين الحقُّ أساس الحياة وروحها؛ ومحبي الجسد، ونور العقل، وطاقته أركان ابن آدم؛ وبه قوام المجتمع، وقوّه مؤسّساته، ونبض أعضائه. وصدق عاطفة التديّن من أهله علامة صحّتهم؛ وعنصر تفاعلهم الإيجابي مع مشكلات الحياة، ووسيلة التغلّب على الصعاب.

1. عبد الله محمد غانم العامري: السعادة في المنظور الإسلامي، ط1، دار ابن حزم: بيروت، 2005م، ص 32.

2. المرجع نفسه، ص 38.

3. جابر قميحة: المدخل إلى القيم الإسلامية، (ط1)، دار الكتب الإسلاميّة، دار الكتاب المصري: القاهرة- مصر؛ دار الكتاب اللبناني: بيروت- لبنان، 1984م؛ ص 129.

- العاطفة الدّينية والشعور الدّينيّ الصادق، قد يجري الانحراف بصاحبهما -ومن خلاهما- إلى نقيض ما يدعو إليه الإسلام؛ فكم من حقّ أريد به الباطل.
- الأسرة بوصفها نواة المجتمع؛ تعدُّ منبع العواطف والمشاعر؛ حيث بين جدرانها نُصاغ شخصيّات النَّاس مرحلةً بعد مرحلةٍ؛ وبطريقةٍ تفاعليّةٍ؛ ومنها يتزوّدون. والأسرة المتديّنة هي إشعاع العواطف الدّينيّة.
- الطفرة العلميّة والتّكنولوجيّة الرهيبة التي يجيهاها علمنا المعاصر، وتزداد في كلّ يومٍ، أحدثت نزعاتٍ نحو العوالم الافتراضيّة، عوالم تحكمها علاقات افتراضيّة، وفيها تفاعلات اجتماعيّة افتراضيّة؛ وكلُّ ذلك بعيداً عن عالم الواقع وأهله.
- المشكلات الأسرية التي تضيها الأسرة المعاصرة ذات أبعادٍ متنوّعة، وأسبابها مختلفة: بين داخلية وخارجيّة؛ وقد أثّرت في تماسك بنائها؛ وفي التواصل بين أفرادها.
- إنّ الاهتمام بالصّحة الرّوحيّة للأسرة المسلمة يعدُّ قوّةً مناعيّة كبرى تقوي من كلّ الأخطار، بما في ذلك التطرف، والغلو؛ إذ لا ينبغي أن يكون صراعٌ بين معتقد الأسرة وسلوك أفرادها.
- لا بدّ من الاهتمام بمعاني السعادة الحقيقيّة التي يرسم لنا خطوطها ديننا الحنيف؛ تلك السعادة التي توازن ما بين متطلّبات الروح، ومتطلّبات الجسد؛ وتجعل من الدنيا مطيّةً للأخرة. ولا ينبغي بحالٍ أن نترك أبناءنا يفتشون عن السعادة ومعانيها وكأنّ ديننا لم يبيّننا لنا؛ أو نتركهم فرائس للإحباط والاكتئاب ونحوهما، فيأتي من يستثمر في حالهم، ويؤكّد لهم مشاعرهم: أنّ لا سعادةً في هذا العالم، فهلمّوا إلى عالم السعادة، إلى الآخرة.
- الهجمات المتكرّرة والمستمرّة على ديننا الإسلامي وكتابه ونبيّه؛ لا يمكن لأيّ صادقٍ في تديّنه أن تمرّ عليه ولا تترك فيه الجراح العميقة؛ والآلام المبرّحة؛ وإنّما ينبغي للردود عليها أن تكون شرعيّة، ومنضبطةً ومنهجيةً. ولا يجوز أن نعين أعداءنا على تمزيق ديننا وأهله أكثر وأكثر، من خلال ردود الأفعال التي يرغبون فيها -هم أنفسهم- ليحققوا تمام صور الافتراء على الإسلام.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن العظيم.
- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ت خليل مأمون شيحا؛ (ط2)، دار المعرفة: بيروت - لبنان، 2007م.
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: المقاييس في اللغة؛ ت شهاب الدين أبو عمرو؛ (دط)، دار الفكر: بيروت - لبنان، (دت).
- قانون الأسرة الجزائري: قانون 84-11 مؤرخ في 9 رمضان 1404هـ الموافق 9 يونيو سنة 1984م يتضمن قانون الأسرة معدل ومتمم بالأمر 05-02 مؤرخ في 18 محرم عام 1426هـ الموافق 27 فبراير سنة 2005م.
- محمد نور بن عبد الحفيظ سويد: منهج التربية النبوية للطفل، ط3، دار طيبة: مكة المكرمة: المملكة العربية السعودية، 2000م.
- إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (ط3)، دار العلم للملايين: بيروت - لبنان.
- جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة، ت عبد الرحيم محمود، (دط)، دار المعرفة: بيروت - لبنان، (دت).
- أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهرى الهروي: تهذيب اللغة، ت أحمد عبد الرحمن مخيمر، (ط1)، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، 2004م.
- يوسف شلحت: نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني، تحقيق خليل أحمد خليل، (ط1)، دار الفارابي: بيروت - لبنان، 2003م.
- محمود شاكر: أباطيل وأسمار؛ (ط3)، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، 2005.
- سعد بن محمد بن علي آل عبد اللطيف: كتاب التعريفات الاعتقادية، (ط1)، دار الوطن، الرياض - المملكة العربية السعودية، 2002.
- محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت علي دحروج، ترجمة فارسية: عبد الله الخالدي، ترجمة أجنبية جورج زيناقي، إشراف ومراجعة: رفيق العمم؛ (ط1)، مكتبة

- لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، 1996م.
- عبد الله الخريجي: علم الاجتماع الديني، (ط2)، سلسلة دراسات في المجتمع العربي السعودي، الكتاب التاسع: جدة- المملكة العربية السعودية، 1990م.
 - محمد كامل حتة: القيم الدينية والمجتمع، دار المعارف: القاهرة- مصر، 1983م.
 - عبد المجيد منصور، زكريا أحمد الشربيني: الأسرة على مشارف القرن الواحد والعشرين، الأدوار، المرض النفسي، المسؤوليات، (ط1)، دار الفكر العربي: القاهرة- مصر، 2000م.
 - سهير إبراهيم محمد إبراهيم: العلاقة بين شبكة الاتصال داخل الأسرة، وبين اختيار المراهقين لجماعة الرفاق غير السوية، جامعة عين شمس، كلية البنات، (الآداب والعلوم والتربية)، قسم علم النفس، بحث حصلت به على درجة الماجستير في التربية (علم النفس التعليمي) نوقش عام 2001م بإشراف أ.د أمينة محمد كاظم، وأ.م.د أسماء عبد المنعم إبراهيم.
 - مطاع بركات: الواقع الافتراضي، فرصه ومخاطره، وتطوره -دراسة نظرية-، مجلة جامعة دمشق، المجلد 22، العدد الثاني، 2006م.
 - وجدي محمد بركات، توفيق عبد المنعم توفيق: الأطفال والعوامل الافتراضية، آمال وأخطار، بحث مقدم في مؤتمر: "الطفولة في عالم متغير"، البحرين في 18-19 ماي 2009م. ويمكن الاطلاع على المشاركة على الرابط التالي:
https://uqu.edu.sa/files2/tiny_mce/plugins/filemanager/files/4300340/stu1.pdf
 - ي.إ. كولتشيستسكايا: تربية مشاعر الأطفال في الأسرة، ترجمة عبد المطلب أبو سيف، ماجد علاء الدين، (ط1)، دار علاء الدين: دمشق- سوريا، 1997م.
 - محمد بن شاعر الشريف: نحو تربية إسلامية راشدة: من الطفولة حتى البلوغ، ط1، الرياض: المملكة العربية السعودية، 2006م.
 - محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية- مصر، 1996م.

- موزة المالكي: الأزمات النفسية - العاطفية، مشاكل وحلول، دار النهضة العربية: بيروت - لبنان، 1995م.
- عباس سبتي: التكنولوجيا وضعف العلاقات الاجتماعية في الأسرة: موقع الألوكة، على الرابط التالي: <http://www.alukah.net/Social/0/38731/>
- محمود محمد عمارة: تربية النشء في ظلال الإسلام، مراجعة وتصحيح الطيب بن عمر الحسن، ط2، رابطة العالم الإسلامي: مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية، 2000م.
- محمد البهي: الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر: مشكلات الأسرة والتكافل، ط3، دار التوفيق النموذجية: القاهرة - مصر، 1982م.
- محمد زياد حمدان: الصحة الروحية للأسرة والأبناء، 2006م، من موقعه: دار التربية الحديثة: على الرابط التالي: <http://www.hamdaneducation.com/arabic/articles2/10.htm>
- عبد الله محمد غانم العامري: السعادة في المنظور الإسلامي، ط1، دار ابن حزم: بيروت، 2005م.
- محمد الغزالي: الجانب العاطفي من الإسلام، (ط1)، دار الدعوة: الإسكندرية - مصر، 1990م.
- جابر قميحة: المدخل إلى القيم الإسلامية، (ط1)، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري: القاهرة - مصر؛ دار الكتاب اللبناني: بيروت - لبنان، 1984م.
- فهمي هويدي: المفترون؛ خطاب التطرف العلماني في الميزان، (ط2)، دار الشروق: القاهرة - مصر، 1999م.
- أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ: المصباح المنير، مكتبة لبنان: بيروت - لبنان، 1987م.
- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان: بيروت - لبنان، 1986م.

- عبد الرحمن بن معلّأ اللويحي: الغلوّ في الدّين في حياة المسلمين المعاصرة، دراسة علمية حول مظاهر الغلوّ، ومفاهيم التطرّف والأصوليّة، (ط2)، مؤسّسة الرسالة: بيروت- لبنان، 1992م.
- الصادق عبد الرحمن الغرياني: الغلوّ في الدّين؛ ظواهر من غلو التطرّف، وغلوّ التصوّف، (ط2)، دار السلام: القاهرة- مصر، 2004م.
- كمال إبراهيم مرسى: العلاقة الزوجية والصحة النفسية في الإسلام وعلم النّفس (ط2)، دار القلم: الكويت، 1995م.
- علي زيعور: انجرافات السلوك والفكر في الذات العربيّة؛ في الصّحة العقليّة والبحث عن التكيّف الخلاق، (ط1)، المركز الثقافي العربي: بيروت- لبنان، 1992م.
- صالح بن إبراهيم بن عبد اللطيف الصنيع: التدين والصّحة النفسيّة، (ط1)، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود للعلوم الإسلاميّة، 2000م.
- سلمان خلف الله: الحوار وبناء شخصيّة الطفل، (ط1)، مكتبة العبيكان: الرياض- المملكة العربيّة السعوديّة، 1998م.
- صباح عجرود: التوجيه المدرسي، وعلاقته بالعنف في الوسط المدرسي، حسب اتّجاهات تلاميذ المرحلة الثانوية؛ دراسة ميدانيّة بمؤسّسات التّعليم الثانوي والتقني بولاية أم البواقي. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النّفس، تخصص علوم التربية، فرع علم النفس الاجتماعي والاتّصال. إشراف الأستاذ الدكتور علي قوادرية: جامعة منتوري/ قسنطينة- الجزائر.
- محمّد عزّت عربي كاتبي: العنف الأسري الموجه نحو الأبناء، وعلاقته بالوحدة النفسيّة - دراسة ميدانيّة على عيّنة من طلبة الصف الأول الثانوي بمحافظة ريف دمشق- مجلّة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد الأول، 2012م؛ ص 70. نقلاً عن الفريّة: 2006.

● عبدي سميرة: الضغط المدرسي وعلاقته بسلوكات العنف والتّحصيل المدرسي لدى المراهق المتمدرس (15-17 سنة)، دراسة ميدانيّة على عيّنة من تلاميذ السنة الأولى الثانوي، بولاية بجاية نموذجًا. مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص علم النفس المدرسي، بإشراف الدكتورة: بوكرة أغلال فاطمة الزهراء. جامعة مولود معمري، قسم علم النفس والأرطوفونيا: تيزي وزو - الجزائر السنة الجامعية: 2010-2011م.